لكونه معبودا مستحقا للعبادة وانه عبد مامور للعبادة فيعبد الله تعالى على هذه النية رغبا
الى الجنة ورهبا من النار فيكون اعظم مقصوده من العبادة اداء ما وجب عليه وتقربه الى ربه
واما الرغبة الى الجنة والخوف من النار فلا يكون اعظم مقصوده من العبادة بل هما السائق
والقايد الى المقصود من العبادة وثواب الناس بقدر نياتهم فمن عبد الله تعالى تعظيما واجلالا
وتقربا اليه وحبا وشوقا الى الغاية يتنعم في الجنة بالنظر الى وجهه الكريم ويسخر ونهم يتنعمون
بالنظر الى وجه الحور والغلمان فان التفاوت بين النظرين عظيم جدا وينبغي للعاقل ان يكون
له نية في كل شيء مباح حتى في اكله وشربه ولبسه حتى في دخول الخلاء وذلك ذلك مما يمكن
ان يقصد به التقرب الى الله تعالى لانها سبب لبقاء البدن وفراغ من مهمات البدن فهو معين
على الدين فمن قصد من اكله التقوى على العبادة ومن الجماع تحصين دينه وتطييب قلب اهله
وتكثير امة محمد عليه السلام كان مطيعا باكله ونكاحه وما دمت تنوي الخير فانت بخير
وكان بعض المريدين يطوف على العلماء ويقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى
فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد
وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمل فان الهام بعمل كعامل
على الخير ورب عمل صغير يعظمه النية ورب عمل كبير يصغره النية والمعاصي لا يتغير عن موضوعها
بالنية فلا يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فيظن ان
المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال
غيره او يبني مسجدا او مدرسة او رباطا من مال الحرام وقصده الخير وهذا كله جهل محض
والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومن تصدق بمال الحرام ورجا منه الثواب
قالوا في الفتوى انه يكفر ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن عمله ومن
تقرب للسلاطين ببناء المساجد والمدارس والقناطير بالمال الحرام ويقرب العلماء السوء
بتعليم العلم السفهاء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور والقاصرين همتهم مماراة
العلماء ومباهات السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال
السلاطين والمساكين واليتامى فان هؤلاء اذا تعلموا العلم كانوا قطاع طريق الله تعالى

ووباله

١٥٧

ووباله يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وفضله ومشاهدة انواع
المعاصي من اقواله وافعاله ومطعمه وملبسه فيموت هذا العالم فيبقى اثره طويلا في الدنيا
معه ذنوبه ومن تخيلات الشيطان ان يقول انما الاعمال بالنيات وقصدت بذلك
نشر العلم في الدين فان استعمله هو في الفساد والمعصية فانه منه لا مني وما قصدت به
الا ان يستعين به على الخيرات وليت شعري فما جوابه عمن وهب من قطاع الطريق سيفا واعد
له خيلا واسبابا يستعين به على مقصوده ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق
بالاخلاق الجميلة وقصدت ان يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله وقد اجمع العلماء
انه حرام مع ان السخاء احسن الاخلاق وقوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات يختص
بالطاعات والمباحات دون المعاصي بالقصد ويكون طاعة بالقصد وكذا المباح
فاما المعصية فلا تنقلب طاعة اصلا بالقصد نعم للنية مدخل فيها وهو انه اذا انضاف
اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها هذا كذا في الاحياء
حقيقة الاخلاص واعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه شيء فاذا اصفى عن شوبه وخلص
عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المسمى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا
خالصا وانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الفرث والدم والاخلاص يضاده
الشرك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات منه خفي ومنه جلي وكثرت اقوال
المشايخ في الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى الاخلاص وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون
العبد وحركته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض ولو فصلنا الكلام
في تفصيل هذه الكلمة لضاق كتابنا وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه
عوضا عليه في الدارين وهذا اخلاص المقربين وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان
روية الخلق بدوام النظر الى الخالق وقيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا
عن العلائق وقال المحاسبي هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وقال الجنيد الاخلاص
تصفية الاعمال عن الكدورات وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها
وهذا هو البيان الكامل قال الغزالي والاقاويل فيه كثيرة فلا فائدة في تكثير النقل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)